الفصل التمهيدى

مقـــــدمة :

يتميز إقليم دارفور بتباين موارده البيئية والبشرية ، فهو متنوع من حيث التضاريس والمناخ ، وكل هذا له انعكاسات على توجهات سكان الإقليم ونشاطهم البشرى .

كما يحتوى الإقليم على مجموعات متباينة من العناصر البشرية ، فهناك قبائل عربية وقبائل إفريقية عاشت بجانب بعضها البعض دون أية صراعات ، ودون أية تعصب بسبب اللون أو العنصر .

وفى الفصل التمهيدى دراسة مدخلية لإقليم دارفور من الناحية الطبيعية ومن الناحية البشرية .

١ـ جغرافية دارفور

يقع إقليم دارفور غرب جمهورية السودان بين دائرتى عرض ١٠° ، ١٦° وخطى طول ٢٢° ، ٢٧° ، وتبلغ مساحة الإقليم حوالى (٥١٠٨٨٨) كيلو متر . أى : ما يعادل خمس مساحة السودان .

أما عن امتداد الإقليم فيمتد من بئر النطرون فى الصحراء الكبرى شمالاً ، حتى بحر العرب جنوباً . ومن كردفان شرقاً حتى الحدود مع دولتى ليبيا ، وتشاد[1] غربًا . وقد كان لامتداد حدود إقليم دارفور أثر كبير على الإقليم . فامتداد الحدود جعل الإقليم حلقة وَصْل بين منطقة السودان الأوسط (تشاد ، وأفريقيا الوسطى) وبين سودان وادى النيل .

---

(١) رجب محمد عبد الحليم : العروبة والإسلام فى دارفور ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة . ص١٦ .

ولذلك كان الإقليم من أهم المراكز التجارية فى العصور الوسطى وفى مطلع القرن العشرين .

ويتميز إقليم دارفور بتباين وتنوع فى التضاريس ، ففى الشمال منه تمتد الصحراء التى تتخللها أودية ومجموعة من التلال ، تتعرض لكمية أمطار قليلة لا تزيد عن عشر بوصات مما ساعد على نمو الأعشاب التى تصلح للرعى ، أما القسم الأوسط من دارفور فعبارة عن مناطق جبلية ورملية فى الطرف الشرقى والغربى . وتتعرض لكمية مطر أكثر نسبياً . وتتراوح كمية الأمطار من ١٢ بوصة إلى ٢٥ بوصة فوق جبل مَرَة . أما القسم الجنوبى فيتميز بكثرة الأمطار التى تساعد على انتشار الحشائش الطويلة ، والتى تصلح لتربية الماشية ويبلغ متوسط الحرارة ما بين ٢٥ : ٣٥ درجة[١] .

وكما تتباين التضاريس فى دارفور ، يتباين المناخ أيضاً . فالحرارة ترتفع فى شمال الإقليم مع ميل للانخفاض فى القسم الجنوبى ، ونتيجة هذا التنوع المناخى كان له الأثر على النبات الطبيعى .

فتنمو الأشجار الحولية والتى تتحمل العطش فى الإقليم وأشهر هذه الأنواع شجر السنط ، وشجر الطلح . مع وجود أشجار مثمرة مثل النخيل ، والليمون ، والموز ، والنبق. ويوجد شجر يسمى التيلدى له القدرة على اختزان مياه الأمطار فى سيقانه ، ويعتبر خزاناً للمياه الجوفية[٢] .

وقد أدى التنوع فى التضاريس إلى تنوع الأنشطة الاقتصادية للسكان وأدى إلى فرض نوع من الحماية للسكان ، كما أدى إلى سهولة الاتصال بين دارفور وجيرانها . مما أدى لتنوع سكانى فى الإقليم .

---

(١) رجب محمد عبد الحليم : مرجع سبق ذكره. ص ٢٠ : ٢١

(٢) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق. ص ٢٤

٢ـ سكان دارفور

تعيش فى إقليم دارفور مجموعات سكانية مختلفة ، ولكن تندرج تحت مجموعتين رئيسيتين وهما : القبائل الإفريقية ، والقبائل العربية . ومن أشهر القبائل التى تعيش فى دارفور .

أولاً : مجموعة القبائل الغير عربية :

١ـ الداجو :

يوجد اختلاف بين المؤرخين حول أصل قبائل الداجو . وأصل الخلاف فى مكان القدوم ، فمنهم من يرى أنهم سكان دارفور الأصليون ، ومنهم من يرى أنهم قدموا من منطقة شمال أفريقيا . وهناك رأى يقول أنهم أتوا من منطقة النيل وسكنوا جنوب دارفور . واستطاعوا التغلب على السكان المحليين وكوَّنوا مملكة .

وينتشر الداجو فى كل ولايات دارفور ويتركزون فى نيالا ، وأم كردوس وكاسى. ويعملون بالزراعة . وهم يتكونون من بطون عديدة تنقسم بدورها إلى أقسام[١] .

وينقسم الداجو إلى قسمين وهما داجو ليوفى . وينقسمون إلى أربعة بطون وهى ليوفى. بنو فولفى وينحصر فى هذين البطنين الرئاسة والزعامة. ومن البطون شمو توركى. وداجو كردكية وهم يعملون بوظائف السلطنة . وكمستشارين .

والقسم الثانى من الداجو هم داجوبا بوفى ويُعرفون بأولاد الجنادية ويكون منهم نائب السلطان ، ويحكم فى حالة وفاة السلطان ، وينقسمون أيضاً إلى قسمين وهما نوفو نقية وهم يمثلون الرئاسة الدينية عند الداجو . واجوتما لنبنجى ومسئوليتهم توزيع الصدقات .

أما الداجو فى نيالا فينقسمون إلى قسمين وهما تروج ويتكونون من ثنتا عشر دملج ، والميرى ويتكون من خمسة دمالج . والدملج هو رئيس مجموعة صغيرة تتكون من عدة

---

(١) التونسى تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان . تحقيق / مصطفى محمد مسعد : المؤسسة المصرية للتأليف والنشر القاهرة . ١٩٦٥م . ص ١٣٨ .

بطون قليلة من ٤ : ٥ بطون . ورئيس الدمالج يسمى سمبى . ونظام الدمالج نظام متوارث منذ نشأة مملكة الداجو الأولى ، وسلطة الدملج أعلى من سلطة العمدة .

٢ـ قبيلة الزغاوة :

اختُلف فى أصل الزغاوة بين المؤرخين ، فمنهم من يرى أن الزغاوة ينحدرون من العرب العاربة عرب الجنوب ، وينسبون لقبائل حمير . وقد هاجروا قبل الإسلام بقرون واختلطوا بقدماء المصريين والنيليين ، وكان من نتائج اختلاطهم بالقبائل ضياع لغتهم وأصبحت لهم لغة تسمى الرطانة [١] .

والرأى الآخر الذى يتحدث عن أصل الزغاوة يقول أنهم هم سكان ليبيا الأقدمون . واتصلوا بالحضارات الفينيقية ، والمصرية ، والنوبية ، والزغاوة القدماء لم يتبق منهم إلا عدد صغير يعيش فى عزلة ويسمون الحداحيد ، ويعيشون فى معزل عن بقية الزغاوة ولا يتزوجون منهم .

ويطلق الزغاوة على أنفسهم لقب (برى) [٢] وينقسمون إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهى الوينى ولهم سبعة فروع رئيسية وهى التوار الأرتاح . القلا . التيفير . أولاد دقيل . الكجمر . الكايتشفا .

والقسم الثانى من الزغاوة هم التوباء (البدايات) وفروعهم كثيرة جداً ، والقسم الثالث الوباراء وهم زغاوة الكيبى . وفروعهم كثيرة أيضاً .

أما فروع الزغاوة فأشهرهم زغاوة النوار ، وأكبر عشائرهم العقايا ومنها انحدر ملوك الزغاوة . كما ينقسم زغاوة نوار إلى العقايا بامبرو ، إيلاء كاوام ، إبلاد دفيل ، إبلاء

(١) محمد صالح أيوب : الدور الاجتماعى والسياسى للشيخ عبد الحق الترجمى جمعية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ليبيا . ص ٤٤

(٢) محمد صالح أيوب : المرجع السابق. ص ٤٥

دورى ابينة ، تاوفى . وهناك أربع عشائر من الزغاوة البدايات تنسب إلى توار وهم دوروارا، إقبغا بروفقة - كورى .

وبالنسبة لزغاوة الأرتاح فينقسمون إلى ستة فروع وهم بيرجى ، أبلا مسل ، تافو كورى ، لوفن ، دنقادى ، أولاد إدى وهم ينسبون للزغاوة القادمين من ليبيا.

وزغاوة البدايات ، وهم فرع كبير ويرى البعض أن الاسم يرتبط بالبادية ، والترحال. وينحدرون من قبيلة البتو وهى قبيلة تعيش فى ليبيا ، السودان ، وتشاد ، وينقسمون إلى أقسام وهى قلى قيرقى فى منطقة فوراوية : بروفات ويُنسبون إلى القرعان . وكود باراء أرديبه وموطنهم شمال شرق تشاد . سقر قراء ولهم ثلاثة بطون وهى بيكى، أقوسمبى، ما بقيراء.

ومن فروع الزغاوة أولاد دقيل . ويكونون مع العقاب ، وابلادورى ، إبلاء كادلو ، ونفوى .

ومن فروع الزغاوة أيضاً زغاوة القلا وهم من الفروع الرئيسية وحاضرتهم كرنوى . ولهم ستة عموديات .

ومن الزغاوة أيضاً زغاوة الكاينغا ، وينحدرون من أولاد تاكو ومنطقتهم الرئيسية كبورو فى دار قلا شرق كرنوى . وأيضاً من فروع الزغاوة زغاوة كحجر زغاوة الكوبى .

وبعد العرض الذى قدم عن قبائل الزغاوة ، يبقى قصة انحدارهم من أصول عربية . فالزغاوة ككل القبائل الإفريقية والتى شاركت فى الحكم . كانوا يتخذون من النسب العربى وسيلة لاعتلائهم الحكم والسبب الذى ألجأهم لذلك هو أن الدين الإسلامى والذى تعتز به القبائل الإفريقية ديناً ظهر فى بلاد العرب . فمن ينتسب إلى البلاد التى ظهر فيها الإسلام ، هو الذى يكون جديراً بالحكم فى نظرهم .

ويعتمد الزغاوة فى نسبتهم للقبائل العربية وجود مجموعة فى سوريا تسمى الزعبى ، ولهم شبه كبير بالزغاوة . كما توجد فى الكويت مجموعة تسمى الزغبى والزغابى .

أما الرأى الذى نميل إليه فهو أن الزغاوة قبائل حامية أفريقية اختلطت بالعديد من القبائل الأخرى ، أما الارتكان على وجود جماعة فى سوريا تسمى بهذا الاسم فيعود إلى زغب أحد فروع بنى هلال. والدليل الثانى أن كلمة زغاوة بلغة الطوارق معناها أهل برنو . أو الناس ذو الوجوه الفاتحة تمييزاً لهم عن القبائل ذات البشرة السوداء التى كانت تعيش حولهم فى منطقة الكانم والبرنو .

٣ـ قبائل البرقد :

هذه القبائل لها خاصية فريدة وهى أنها تتكوَّن من عشائر وقبائل شتى حتى أن كلمة برقد معناها الشىء ذو الألوان المتعددة ، وقد انقرضت لهجتهم ولم يعد لهم وجود .

أما عن أصل البرقد فهم زنوج يشبهون فى تركيبهم الجسمانى وعاداتهم أهالى إفريقيا الوسطى . وقيل إنهم من قبائل النوبة المختلطة بالعرب ، ويعيش البرقد فى منطقة يحيط بها من ناحية الجنوب الغربى دار الداجو . ومن الجهة الجنوبية دار الرزيقات . ومن الشرق دار البرتى . ومن الشمال الشرقى فلاتة كتاله وشمالاً التنجر . وغرباً الفور .

وينقسم البرقد إلى قسمين ، وهما : كجر ، دالى . وتقسم كجر إلى تسعة أقسام وهى : مدقركى . سرندكى . فرموم . كاموتة كلاودكى وهم يسمونهم مورقى . كما تنقسم أيضاً مجموعة الكجر إلى مجموعة عربية من بنى هلال وهم فرتوكنكى ، تبايغى وفيهم عنصر نوبى سكن جى وهم عنصر نوبى/ هلالى . ترون شروكى عنصر نوبى/ هلالى والمجموعة الثالثة من بطون قرقركى وينقسمون إلى أربعة قرقركى وهم بنو هلال . شيخ كى كندوكى. مرورقى .

٤ـ قبائل التنجور :

اختلفت الآراء حول أصول قبيلة التنجور ، فمنهم من يرى أنهم يعودون فى أصولهم إلى النوبيين ، وأنهم هاجروا خلال القرنين الخامس عشر ، والسادس عشر الميلادى . ورأى

آخر يرى أنهم من قبائل بنى هلال العربية . ورأى يذكر أنهم من أصول بربرية ، وقد استطاعت هذه القبيلة تكوين دولة فى شمال دارفور كانت معاصرة لدولة الداجو [1] .

٥ ـ قبائل الفور :

من أهم القبائل التى تعيش فى دارفور حتى أن اسم الإقليم مشتق منهم . وهم عبارة عن خليط من القبائل الإفريقية والعربية قَدِموا البلاد فى حوالى القرن السابع الميلادى من منطقة النوبة ، ومن أشهر فروعهم الكنجارة ويعيشون شرق جبل مَرَة . والكرايت ويعيشون فى جبل بمبى . والغزر ويعيشون فى دار أباديا جنوب جبل مرة .

٦ ـ قبيلة الميدوب :

تسكن هذه القبائل فى شمال شرق دارفور ، ويعودون فى أصولهم إلى بلاد النوبة. وكانوا يتحكمون فى طرق التجارة لوقوع بلادهم حول درب الأربعين .

٧ ـ قبائل القمر :

تعيش هذه القبائل فى غرب دارفور. وتُعرف أراضيهم بدار قمر شمال بلاد المساليت. وكانت توجد مصاهرة بينهم وبين قبائل الفور ، وتتحدث هذه القبائل اللغة العربية[2] .

٨ ـ قبائل التكرور :

شعب التكرور تقع بلاده الأصلية فى منطقة غرب إفريقيا ، وهم شعب مسلم استطاع تكوين دولة إسلامية فى غرب إفريقيا وهى سلطنة مالى والتى كان لها شهرة كبيرة ، حيث قام سلطانها منسا موسى بزيارة الأماكن المقدسة فى الحجاز فى رحلة اعتبرت أسطورة فى البذخ والإنفاق [3] .

---

(١) التونسى : تشحيذ الأذهان : ص ١٣٧ . وانظر رجب محمد عبد الحليم : مرجع سبق ذكره . ص ٢٦، ٢٧ .

(٢) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق. ص ٣ .

(٣) عن امبراطورية مالى : انظر إبراهيم طرخان : مملكة مالى الإسلامى ، الهيئة العامة للكتاب .

ويعيش التكرور الآن فى منطقة فوتا السنغالية ، وينتشرون أيضاً ما بين نهر النيجر وبحيرة تشاد ، وفى منطقة سكوتو . وهم أول القبائل الإفريقية التى اعتنقت الإسلام ، وهاجروا إلى دارفور وكردفان ، وسنار وكسلا . ويتحدث التكرور اللغة العربية كلغة تخاطب بينهم . ومن المعروف أن منطقة بولاق التكرور فى مصر تنتسب إليهم ، حيث كانت منطقة تجمُّعهم فى مصر .

٩ ـ الفلاتا :

هى قبائل حامية ، وتعرف بالفلانى وكانت تعيش فى نيجيريا واختلطت بالقبائل العربية ، وهاجروا إلى منطقة دارفور منذ أزمنة بعيدة فى عهد السلطان أحمد ، ويتكلمون اللغة العربية .

١٠ ـ المساليت :

قبائل عربية اختلطت بالبربر . وتمتد بلادهم من وداى غربًا حتى دار صليح جنوبًا . ومن دار قمر شمالاً حتى الفور شرقاً ويتحدثون لغة خاصة بهم [١] .

ثانياً : المجموعات العربية :

يقطن إقليم دارفور كثير من القبائل العربية، والتى تسربت إلى هذه البلاد من الشمال الإفريقى مثل قبائل بنى هلال . ومن مصر وبلاد النوبة . وقد اختلط العرب بغيرهم من القبائل الإفريقية عن طريق المصاهرة لدرجة أنك لا تستطيع التمييز بين ما هو عربى الأصل والإفريقى ، فالكل يتشابه فى الملامح الجسدية وفى اللون . ومن أشهر القبائل العربية التى عاشت فى إقليم دارفور :

١ ـ قبيلة الرزيقات :

تعود أصول هذه القبيلة إلى جهينة . ويعتبرون من أغنى القبائل التى تعمل فى تربية الماشية ، ولذلك يطلق عليهم لقب البقارة . ويتميزون بالكثرة العددية ، ويقال عليهم (ولاد رزيق هين التراب) كناية عن كثرة عددهم [٢]

---

(١) التونسى : مصدر سبق ذكره . ص ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق . ص ٨٥ .

وينقسم الرزيقات إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهم نائب جد النوابية . ومحمود جد المحاميد . وماهر جد الماهرية . وتنقسم هذه الأقسام الرئيسية إلى العديد من الأقسام ، فالنوابية ينقسمون إلى قسمين كبيرين وهما صمرة ، وحمول . وينقسم المحاميد . قسمين هما أحمد ، أم ضحية . ولكل فرع بطون وأفخاذ .

٢ـ التعايشة :

ينسبون إلى قبيلة جهينة . وهذه القبيلة لها امتدادات داخل تشاد وإفريقيا الوسطى ، وهم قحطانيو الأصل وجدهم الكبير اسمه أحمد تعيش . وينقسم التعايشة إلى قسمين وهما: العرج . والقلادة .

وينقسم العرج إلى أربعة عشر قسماً وهم : أولاد عمر . أولاد ثابت . أولاد زيد . أولاد مسلمة . الشوشة . النجمة . الضبابية . أولاد بحيرى . الدقايلة . البركاوى الشلوحى الحضرمى . أولاد أبو ملكة . الهدالين .

وينقسم القلادة إلى : الجبارات . أم دبدة . أولاد سنا . أولاد حميدان . أم لسعة . أولاد عباس . الجرارحة . الفاطمية . المطيحية . الغزالين أولاد سعيد . أولاد أبى قدوم .

والنشاط الاقتصادى لقبائل التعايشة يعتمد على الزراعة والتجارة مع منطقة إفريقيا الوسطى وتشاد . ويدفعون ضريبة تجارية تسمى (الليغو) . وفى فصل الخريف يقومون بزراعة الدخن ، والذرة ، والفول السودانى ، والسمسم .

وأشهر أماكن تركزهم هى رهيد البردى ، جفاوة ، طوال ، أبو رى . أبو اندتان وحرازة . والقناية . وقد جاء التعايشة من تونس مع الأعراب ودخلوا السودان وسكنوا وادى مليط ، ثم جاءوا لوادى تعايشة . أما ديارهم فتقع جنوب غرب ولاية دارفور .

٣ ـ المسيرية :

قدم المسيرية مع قبائل عربية فى هجرات متتالية من الغرب . وبدأوا فى الاستيطان بتشاد ، ثم اتجهوا للسودان . ولهم بعض الفروع فى تشاد ويُعتبرون من أغنى القبائل فى الثروة الحيوانية والزراعية .

وينقسم المسيرية إلى فرعين وهما : الحمر والزرق . وقد استوطنوا فى منطقة جبل كرو بدارفور وهى منطقة استراتيجية حيث سهلت الدفاع عنهم ضد غارات قبائل البدو . وعاصمة المسيرية هى (نتيقة) . ويبلغ تعدادهم مائتى ألف نسمة .

ويبقى لنا فى الحديث عن قبائل المسيرية أن نعرف أنهم ينقسمون كما قلنا فى البداية إلى حمر وزرق . والحمر ينقسمون بدورهم إلى : الفلايتة . العجايرة . وينقسم الزرق إلى : العلاونة . العنينات . الزرق (السود) .

٤ ـ المعاليا :

ينسب المعاليا إلى قبيلة فزارة بنى شيبان . ويرجعون فى نسبهم إلى مضر بن نزار جد الرسول ﷺ وتعتبر هذه القبيلة صاحبة الفضل فى نشر الإسلام فى السودان . وقد دخلت هذه القبائل السودان عن طريق مصر لأنهم كانوا يسكنون فى وادى العلاقى . وقد سكنوا فى البداية جنوب دنقلة ، ثم رحلوا حتى وصلوا إلى منطقة كردفان .

ومن أهم بطون المعاليا الخوابير . وأم مكريم . وتعمل هذه البطون بتربية الإبل ويطلق عليهم الأبالة . وتنتشر هذه القبائل جنوب دارفور . كما يعيشون فى شرق السودان وسط قبائل البشارية ، وفروع البجة . ويعيشون على ضفاف النيل الأبيض والأزرق فى قرى شمال جبل الأولياء وشرق النيل .

كما تعيش مجموعة منهم غرب مدينة الفاشر عاصمة إقليم دارفور ، وتوجد منهم مجموعة تعيش شمال الفاشر. وسبب الانقسام هو التنافس على الزعامة والسلطة.

٣ ـ القبائل العربية فى دارفور ودورها فى الثورة المهدية

١ ـ الرزيقات والمهدية :

يعتبر شيخ الرزيقات والمسمى (مامبو) من قواد الثورة المهدية فى السودان . حيث قام بمبايعة المهدى وعُيِّن أميراً على دارفور من قِبَل المهدى . وخاض معارك كثيرة ضد الأتراك حيث هاجم حامية الأتراك فى شكا ، وهزمهم فى معركة أم وريقات .

وبعد وفاة المهدى رفض مامبو مبايعة الخليفة عبد الله التعايشى ، فقام الخليفة بإرسال كتب إلى قبائل المسيرية ، والرزيقات يعلن فيها عصيان مامبو ، واستطاعت هذه القبائل هزيمة مامبو . وألقوا القبض عليه وقتل .

٢ ـ التعايشة والثورة المهدية :

أيد التعايشة الثورة المهدية ، ويكفى أن خليفة المهدى عبد الله التعايشى منهم ، وقد تم تهجير الكثير من قبائل التعايشة لمؤازرة المهدية . ولذلك نجدهم منتشرين فى أماكن مثل أم درمان ، والخرطوم ، الغضارف ، النيل الأزرق ، أبو حجار الرماش ، والحبليتن .

٣ ـ المسيرية والثورة المهدية :

كانت هذه القبائل من أشد مناصرى المهدى . وقد أعلنوا عصيانهم على الأتراك وشنُّوا هجومًا على معسكر طيرة حميرة التركى وأبادوا كل من فيها من الجنود ، ولذلك أرسل الأتراك جيشًا ، ولكن قبائل المسيرية هزموهم مرة ثانية ، وكان المهدى يقول عنهم أنهم أبكار المهدى . وقال عنهم خليفته عبد الله التعايشى المسيرية بالنسبة لى كالشجرة الظليلة ألجأ إليها وقت الهجيرة .

★★★